مختصر خطبة صلاة الجمعة 23/ 8/ 2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(حنان الأمهات)

وكتب أحد الأدباء متحدثاً عن حنان أمه: (لا أعرف الأمهات كيف يكن، ولكني أعرف أمي كيف كانت، كان حنانها عجيباً، كانت إذا مرضتُ ووصف لي الطبيب دواء لا تدعني أجرع منه إلا بعد أن تجرع هي منه، وكثيراً ما كنت أقول لها: «يا أمي كفي عن هذا!»، فتقول: «يا بني إنه قلب الأم» فأقول: «ولكنه عمل لا نفع منه» فتقول: «نعم، ولكن ليطمئن قلبي». لما نجحت في امتحان الشهادة الابتدائية جاء ابن عمتي مهنئاً، وأشار عليها بأن تكتفي من تعليمي بهذا القدر، لما كنا فيه من العسر، فأبت، فألح فأنكرت ذلك منه وزجرته عن اللجاجة فيه، وأكدت أنها ستعمل لنتعلم إن اضطر الامر إلى ذلك. وكانت تتوخى أن تعفيني من المنغصات وتتجنب أن تُحَمِّلَني الهموم فتستقلَ بها دوني وتتحرى ما يدخل على نفسي السرور ويشيع فيها الغبطة والرضى، ويفيض على البيت الإيناس والبهجة).

أيتها الأخوات الكريمات: لا غرابة فيما سمعتم فهذه هي الأم التي نعرفها، وقد رفعها الله بحنانها وبرها بأولادها ورعايتها زوجها مكاناً علياً، أخرج الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: جاءتني مِسْكِينَةٌ تَحمِلُ ابنتين لها، فأطْعَمتُها ثَلاَثَ تمْراتٍ، فأعطت كلَّ واحدة منهما تمرةً، ورَفعت إلى فيها تمرةً لتأكُلَها، فَاسْتَطْعَمَتْها ابنتَاها، فَشَقَّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلَها بينهما، فأعجبني شأنُها، فذكرتُ الذي صَنَعَتْ للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: **«إنَّ الله عز وجل قد أوجبَ لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار»**.

إنها رحمة الأم بولدها وحنانها عليه وجزاء الله لها بهذا الحنان وهذه الرحمة.

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: "**«أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أنه تأتي امرأة تبادرني، فأقول لها: ما لك؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي»**". إنها شفقة الأم على أولادها وحنوها عليهم وجزاء الله تعالى لها بهذا الحنان وهذه الشفقة.

دفعني للحديث عن حنان الأم حاجةُ الأسرة الناجحة والأولاد الأسوياء إلى أمّ حنون، لقد بتنا نرى ونسمع قصصاً عجيبة عن قسوة قلب لا رحمة فيه، وعن غلظة فؤاد لا حنان فيه، نسمع عن أمٍ تركت طفلتين بعمر الزهور عند أبيهم ومضت حردانة لبيت أهلها تطلب طلاقاً، لتبقى البنات من دون حانية، ولا راعية. فأين حنان من عرفنا من الأمهات؟!

نسمع عن أمٍ تبقى نائمة في الصباح، بينما يذهب أطفالها الصغار إلى المدرسة ولا يجدون من يقدم لهم طعام الإفطار أو يضع في حقائبهم ما يأكلونه في المدرسة، فيبقون جائعين إلى أن يعودوا أو تمتدُ أعينهم لما في حقائب أصدقائهم من لذيذ الطعام، ولا يجدون من يرتب لهم ثيابهم أو يسرح لهم شعورهم أو يودعهم من وراء الباب. فأين حنان من عرفنا من الأمهات؟!

نسمع عن أم طبيبة حافظة لكتاب الله ألقت بكل أحمال بيتها على بنتها ذات الأحد عشر عاماً لتتفرغ هي لأعمال المسجد والعيادة. فأين حنان من عرفنا من الأمهات؟!

نسمع عن خطاب غريب عجيب يحدث المرأة عن تحقيق ذاتها خارج أسرتها، ويخبرها بأن خيرها إلى نقص وخير أولادها إلى ازدياد، فلتراعِ نفسها أولاً ثم لتقدم ما تسمح به نفسها لأولادها وزوجها.

فيا أيتها الأمهات الكريمات: حنانكن على أولادكن ينشئ للمجتمع نشأً سوي الأخلاق سوي الأفعال سوي الطباع، ويرضي ربكم ويفرح نبيكم ويقوي أواصر الترابط في مجتمعكم واذكرن قوله صلى الله عليه وسلم: **«الراحمون يرحمهم الرحمن»** [أبو داود]، واذكرن أن الله أودع في قلوبكن من الرحمة والشفقة ما فيه سبب سعادتكم وسعادة أسركن.

والحمد لله رب العالمين